

## مفردات الطبيعة في شعر نانا الظفاري

( دراسة حالة الشاعرة إيدال العمرية )

الدكتور احمد بن علي المشيخي  
جامعة السلطان قابوس

تعتبر اللغة الوعاء الرئيسي لنقل الأفكار والمعرفة الإنسانية. وهي حجر الزاوية في كل الثروات الاجتماعية والثقافية للمجتمع، بحكم انها الوسيلة الأولى للتخاطب وتبادل الآراء والاتفاق على اساليب العمل والتفكير الاجتماعي. وهي المستودع الرئيسي الذي يحتوي التراث الفكري الإنساني. وفي نفس الوقت، تعتبر اللغة السجل التاريخي والحضاري للمجتمع.

إن دراسة لغات المجتمعات الإنسانية من أفضل الوسائل والطرق للتعرف على المجتمعات البشرية. فهي الرابط المحوري بين كل الأنشطة المجتمعية، اكانت اجتماعية او اقتصادية او سياسية او ثقافية وفكرية وغيرها. وفي نفس الوقت، تؤدي وظيفة اجتماعية هامة في المجتمع. وهي، أيضا، حلقة في سلسلة النشاط الإنساني المنظم، وجزء أساسي في السلوك الإنساني في الحياة اليومية.

والطبيعة ومكوناتها، من ناحية أخرى، من المفردات اللغوية التي يستخدمها البشر للتعبير عن مختلف المعاني المباشرة او المجازية، أي كان نوعها، في عقولهم وأرواحهم، وكذلك لعرض ما يخلج في نفوسهم وما يتساءلون عنه من المشاعر والاحاسيس والخيال الواسع. والشعر، من جهة أخرى، هو أداة لغوية مثيرة للاهتمام ينقل بها البشر أفكارهم وعواطفهم ومشاعرهم عن الحياة وما يجري في البيئة المحيطة بهم من الحب والكراهية والمواقف التي لا تنسى والتحديات والصعوبات والأفراح والأحزان، وغيرها من حالات الحياة المختلفة .

تكشف هذه الورقة عن كل هذه الأفكار والمعاني في الشعر الظفاري بلغة اشحرات (الشحرية). ستركز الورقة على شعر وفن النانا الظفاري، الذي يتميز بآياته الشعرية القصيرة، والتي تحمل العديد من التعبيرات الاستعارية لمفردات الطبيعة. وقد تم اختيار إيدال بنت سهيل العمري، شاعرة نسائية مشهورة في ظفار، كحالة للدراسة في هذه الورقة. وستعمل هذه الورقة على توضيح ما يلي:

- 1- كيفية استخدام مفردات الطبيعة مثل المطر، الغيوم، رذاذ المطر، الشفق، الفجر، غروب الشمس، شروق الشمس، الظلال، الشمس، القمر، الجبال والسهل والبحر وغيرها من مفردات الطبيعة ومعانيها المجازية في شعر نانا الظفاري.
- 2- كيفية توظيف هذه المفردات في بنية شعر النانا.

إن فن النانا إحدى أشهر الفنون الشعبية التقليدية في ظفار. حيث تمثل الفنون التقليدية الرابط الحضاري والثقافي والمدني للمجتمع، مهما تنوعت بنية المجتمع وسماته الثقافية والاجتماعية والاقتصادية. وعبر الفنون والتراث يتفاعل المجتمع مع المجتمعات الأخرى عبر عصور التاريخ المختلفة. وتشكل عوامل الحياة ومؤثراتها المختلفة محفزا ورافدا قويا للفنون التقليدية الشعبية، وتعبر عن الاصاله الوجدانية في التعبير الثقافي والاجتماعي الفطري للفرد والمجتمع. حيث انها تعبر عن الإحياءات المختلفة التي تأتي من أعماق الاحساس الشعبي الوطني والروحي بسجية انسانية تعبيرية خاصة، وتستخدم مفردات الطبيعة وتمزجها في هذه التعبير لتحمل معاني مختلفة ومتنوعة وتعبر عن احساس ومشاعر الشعراء.

وبحكم الموقع الجغرافي، فان ظفار مفتوحة الأبواب والنوافذ لمختلف الحضارات والثقافات عبر تاريخها فمن سمات افريقيا المنعشة وتيارات الهند الموسمية وصحراء الربع الخالي الى عبق بخور اللبان الظفاري المتجذر في ربوع ظفار وحامي ارثها على مر العصور، الى روحانية المساجد الدينية، وما يصاحب ذلك من وجد روحي في حلقات الذكر، تطلق مشاعر النفس الانسانية للشعراء. ويتفنن الشعراء في اختيار مفرداتهم الشعرية جائلين بين الطبيعة الخلابة لظفار ونسيمها وسحبها وغيومها ومطرها وجبالها الشامخة وبانوراما المناظر الخلابة في صرب ظفار (بعد موسم الامطار الموسمية) الى الشواطئ الجميلة وشروق الشمس وغروبها

في بحر العرب والمحيط الشاسع بأمواجهم المتلاطمة باحثين عن مرسى وسكينة، إلى الليالي القمرية الجميلة وذكر الاب أو الأم أو الأخ أو الحبيب والصديق الغائب أو مناجاة الى رب العالمين لهم أو حزن يعيشه الشاعر، فيجد في ابیات شعره وفي طبيعة ظفار تعبيراً يزيل هذه الهم.

### شعر وفن النانا في ظفار

يعتبر النانا الفن الطارب والشجي في محافظة ظفار. فهو أداء غنائي للفرد أو لمجموعة من المنشدين بدون أي أداة إيقاعية، ويعتمد على الأداء الصوتي للمغني. وفن النانا متجدد الألحان وخفيف النغمات، ويطرب السامعين بألحانه، وكلماته قصيرة، لكنها عميقة المعاني. وقصيدة "النانا" لا يتعدى حجمها بيت الشعر العربي الفصيح والذي يتكون من صدر البيت وعجزه.

ويمثل فن " النانا الظفاري" دوراً أساسياً في الحياة العامة في ظفار، ويعبر فيه الشعراء ذكورا واناث عن مختلف أفكارهم واحاسيسهم تجاه القضايا المجتمعية او الشخصية ومختلف جوانب الحياة، وكذلك للتخفيف عن ذواتهم ومشاعرهم باستخدام مفردات مجازية قصيرة ومحكمة، قد تحمل المعاناة الإنسانية، أو الإعجاب والحب، أو استفسارات أو الغاز تعبر عن حالة أو ظاهرة في المجتمع. و" النانا" فن مرن يستطيع تطويع مصطلحات اللغة لإدخالها ضمن سياقه الفني، وله قواعد وأصول في الشعر والحن والأداء ويستوحي ألحانه من مظاهر الطبيعة ومفرداتها المختلفة.

والمتابع لشعر النانا يلاحظ كثرة استخدامات مفردات الطبيعة في ابياته المختلفة. ويفتخر الشعراء بقدرتهم على تطويع مفردات الطبيعة في سياق شعرهم للتعبير عن معاني مختلفة. ومن خلال التحليل والتفسير لمعنى هذه المفردات، نرى الشعراء يستخدمون الخريف ومواسمه والسحب والغيوم والنسيم والخضرة للتعبير عن الراحة والاطمئنان، بينما يستخدم الشمس والحر والظلام الدامس والعواصف والامواج العاتية والسحب الركامية الداكنة للتعبير عن التعب والخوف والصعوبات والتحديات التي تواجههم في حياتهم.

ويتكون شعر النانا من مقطعين موزونين، ولكن أحيانا، وفي حالات نادرة، يتكون من ثلاثة مقاطع. وينظم شعر النانا في مواضيع مختلفة

ومتنوعة من الغزل والعاطفة، والحنين والشوق إلى الديار، إلى الحكم والسياسة ونقد الوضع العام والقضايا الاجتماعية والشأن العام في المجتمع. وينظم شعراء مقاطع شعرية منفردة، وفي كثير من الأحيان ينظم على شكل حوار الرجز الشعري (مرادات) بين شاعرين أو مجموعة من الشعراء في نفس موضوع القصيدة الأولى، أو يأتي شاعر بصدر البيت، ويسمونه حرف، وعلى الشعراء الآخرين تكملة البيت إلى النهاية، على أن تعطي المعنى المقصود في صدر البيت الشعري، الذي قدمه الشاعر الأول.

### شعر النانا عند إيدال العمري

إيدال بنت سهيل بن علي العمري من مواليد ولاية مرباط بمحافظة ظفار. هي أم وشاعرة وواجهة اجتماعية معروفة في ظفار. وتعتبر إيدال العمري واحدة من الشاعرات المميزات بفن النانا. فهي تجيد نظم شعره بحرفية عالية، وتنافس كبار الشعراء المعروفين بنظم شعر النانا. بل وتشارك معهم في الرجز الشعري في النانا. وتشتهر كذلك بوضع أبيات شعرية (حرف) للشعراء لتداولها والرد عليها، وكذلك تنظيم قصائد شعرية لأفضل رد شعري على القصيدة التي تضعها.

واهم ما يميز إيدال العمري، من وجهة نظري، هو استخدامها لمفردات الطبيعة بكثرة في شعرها. ومثل ما سنرى، لاحقاً، في قصائدها استخدام مفردات تعبر عن الخريف (فصل الصيف حسب تقسيم المواسم السنوية)، والمطر والغيوم والسحب والرذاذ. ويعتبر هذا الموسم من مواسم الرخاء والراحة لسكان ظفار، وذلك لكثرة الأمطار الموسمية التي تروي الطبيعة والسهول والجبال، والتي تستمر من 21 يونيو إلى 21 سبتمبر من كل عام. وتكثر في هذا الفصل الزراعة الموسمية للمحصولات المختلفة، وخاصة البقوليات.

وتستخدم إيدال العمري، كذلك، مفردات طبيعية أخرى مثل (الجبال والقمم والوديان والسهول، والشمس والقمر، والشروق والغروب والحر والظل والبرد، والنجوم والليل، والبحر والعواصف والأمواج والماء، وغيرها من مفردات الطبيعة في سياق نظمها لشعر النانا، وذلك كتعبيرات مجازية عن مواقف معينة مرت عليها، أو عن مشاعر واحاسيس مختلفة تختلج خواطرها وفكرها. ومن هذا المنطلق، تم اختيارها للدراسة في هذه

الورقة. وسيقسم التحليل مفردات الطبيعة المستخدمة للشاعرة ايدال العمري في نظم شعر النانا على الشكل التالي:

### الخريف والمطر والغيوم والسحب

استخدمت ايدال العمر مفردات موسم الخريف الظفاري (الصيف) بكثرة كمفردات من الطبيعة في شعر النانا. ويرجع استخدام مفردات الطبيعة بكثرة لدى الشاعرة، من وجهة نظري، الى حب المجتمع الظفاري لهذا الموسم، من ناحية، وإلى ارتباط الشاعرة بالعادات والتقاليد المحلية التي لا تعطيها المجال للتعبير كما تشاء وبحرية عن ما يجيش في خاطرها وفكرها من مفردات للتعبير عن الحالة الشعرية لديها. ونستطيع أن نرى كيف وظفت الشاعرة مفردات الخريف من امطار وسحب وغيوم في شعرها من خلال الابيات التالية.

قلع خورف هني لحيمل بالقفي

بلعبيض عمر انسنين انزوفي

اترك الخريف لي احمله وأدبر شأنني

واعوض عن عمري وسنينه النازفاتي

توصف الشاعرة الحالة الشعرية لديها، وتشبه الانسان العزيز لديها بموسم الخريف وتطلب من الجميع ان يدعوها وشأنها (قلع خورف هني) وتحمله وتتجه في مسار الحياة المناسب لها (لحيمل بالقفي). ففي ابياتها القصيرة ترى الشاعرة بأن هذه العزيز يستطيع أن يعوضها عن العمر الماضي من حياتها (بلعبيض عمر) وما استنزفته السنين الماضية من حياتها نتيجة انتظار لهذا العزيز (انسنين انزوفي).

وفي القصيدة التالية من شعر النانا ترحب الشاعرة بضيوفها الأعراف (لوب ارغميد خورف) وتشبههم بأماسي الخريف الجميلة، وتشبه الزيارة بسحب الخريف التي غطت بسحبها كل الاماكن حولهم (ميد اغليل سحبه)، ولكنها بطريقة عفوية وعلى شكل لغز تسأل عن صديق للمجموعة جرت العادة ان يأتي معهم في الزيارات السابقة (دون شي ذول اليكتمل) وتبحث عن أسباب غيابه (بو لحسن اسبيه).

لوب ار اغميد خورف ميد اغليل سحبه

دون شي ذول اليكتمل بو لحسن اسبيه

محلّى اماسي الخريف إذا مدت سحائبها

ولا تكتمل معها الأفراح وتخفي اسبابها

والشاعرة إيدال العمري من كثر معزة هؤلاء الضيوف لديها والفرحة العارمة بهذه الزيارة تشبههم بالخريف والسحب الامطار الموسمية، حينما تغطي السحب والغيوم كل الأماكن والمرتفعات من حولهم، ولكن الفرحة لا تكتمل بغياب صديق عزيز لهم ولها في هذه الزيارة ولا تعرف اسباب الغياب، وتساءل ضيوفها عن أسباب غيابه.

وفي القصيدة التالية وصف اخر للسحب والمطر، والشاعرة تعطي معنى آخر لذلك حين توصف التقاء السحب الركامية الكثيفة (هر دومك غوبر)، حيث كثافتها والسواد الداكن لها والظلام الدامس الذي تخلفه على الأرض نتيجة الامطار الغزيرة (بصيب من اجرومد) تجعل الإنسان في حالة من الحيرة فلا يعرف متى تشرق الشمس او متى تغيب (العك فوز تحزر قريب كون امغومد).

هر ادمك غوبر بصيب من اجرومد

العك فوز تحزر قريب كون امغومد

إذا تلاطمت السحب وصبت من مزنها

تعجز تحديد شروق الشمس او غسقتها

وهنا الشاعرة تستخدم مفردات (ادومك) و(اجرومد) وهي مفردات لها علاقة بالسحب الركامية الماطرة والظلام الذي تخلفه على الارض، ولكنها تعبر مجازيا عن الحالات الغير واضحة والغير مفهومة بالنسبة لها وللمجتمع، فتجعل عامة الناس في حالة من الحيرة نتيجة للمواقف الغير واضحة والصعبة ولا تعرف متى تنتهي هذه الحالة.

## الجبل والسهول

تستخدم الشاعرة ايضا مفردات الطبيعة كالجبال والسهول في رمزيات الحالات الشعرية لديها. فتشبه الحالات العنيدة والصعبة من الناس بالظل في المنحدرات الجبلية الصعبة والشاهقة (من اقصص هلع)، وترى بأن هؤلاء الناس من الصعب أن يتراجعوا عن مواقفهم (غلوب اليشوطي).

من اقصص هلع غلوب اليشوطي

بيل بيك ابقعاك اعق ابرد خطي

من القمم الشاهقات رفض ينزل الظل

حتى ولو صنعت البراد في كل السهل

والشاعرة هنا توصف الحالات الصعبة التي لا يمكن أن تتراجع عن مواقفها، مهما يسرت لها طرق ووسائل الحياة، او مهما اغريتها بأعمال جيدة أخرى (بيل بيك ابقعك عق ابرد خطي).

## البحر والعواصف

تستخدم الشاعرة إيدال العمري، ايضا، مفردات البحر والامواج والعواصف في شعرها لتعبر عما يدور في خاطرها وفكرها الشعري. وهذه المفردات الطبيعية تعبر مجازيا في السياق الشعري عن حالات التحدي في نفس الشاعر. واستخدمت الشاعرة هذه المفردات لتعبر عن مواقف محددة يمر بها الانسان في حياته واتخذ قرار نهائي في هذه المواقف. هنا توصف الشاعرة المواقف الصعبة بأموج البحر العاتية والهائجة (خضر اتغلقن)، وبها الكثير من التيارات البحرية القوية والجارفة (بمکن به حوسي)، ولكنها اتخذت القرار بمسار طريقها (الر هس الغيرن) واتجاه المرسى لسفينتها (من تل تك يرسى).

خضر اتغلقن بمکن به حوسي

الر هس الغيرن من تل تك يرسى

الأمواج تتلاطم وفيها كثر الحواسي

وما عاد باتغير لمراكبنا الرواسي

الشاعرة تعبر عن قرارها من مواقف حياتية مختلفة. وتشبه الأفكار والقرارات في عقلها او الناس من حولها عند مناقشتها للموقف بالأمواج الهائجة والعاتية، والتي تلف وتدور مثل التيارات البحرية الجارفة، ومدى تأثيرها على القرارات المتخذة. وبالرغم من كل ذلك فإنها اتخذت القرار المناسب ووجهت مسار سفينتها (قرارها) الى ما تريده هي والقرار حُسم ولا يمكن العودة عنه.

## الشمس والغروب

المتابع لشعر النانا يجد أن الكثير من الشعراء يستخدمون مفردات الشمس والقمر والليل والغسق والشروق في شعر النانا. والشاعرة إيدال العمري لم تكن استثناء من ذلك. ويمكن القول ان الشاعرة استخدمت هذه

المفردات، ولكن ليس بنفس الزخم والكثرة، حينما تستخدم مفردات الخريف والسحب والغيوم والمطر في شعرها. والقصيدة التالية هي من أحدث ما قالته الشاعرة في شعر النانا، ووضعها الشاعرة كحرف لبقية الشعراء لتركيب أبيات شعرية عليها للإجابة على قصيدتها. والحرف، كما أشرت سابقا، نوع من شعر الرجز ويقدم الشاعر فيه صدر البيت الشعري ليبقى كحرف يبدأ فيه كل الشعراء الذين يشاركون في المفردات الشعرية للحرف.

هذه المرة تستخدم الشاعرة العين والنظر والغروب لوصف الحالة الشعرية التي تعبر عنها. وتخاطب من حولها (هير انبك تغيلق) إذا لدى الانسان النية لفتح عيونه والنظر إلى ما حوله، فلا بد من إعطاء العين حقها في النظر (أزم عين حقه). وتواصل الشاعرة مخاطبتها لمن حولها بأنه من الضروري اختيار الوقت المناسب للنظر وهو وقت الغروب، ومن الأفضل ان تفتح عيونك كاملة مع الجو البارد والعليل (أحوجي بمغومد بكغضاف ننتقه).

هير انبك تغيلق أزم عين حقه

أحوجي بمغومد بكغضاف ننتقه

إذا نويت النظر اعطي العين حقها

لُمها في العسق ومع البراد افتحها

والدلالة الرمزية لقصيدة الشاعرة هنا ليس في العيون وفتحها، وليس في الغروب والوقت المناسب لفتحها، وإنما تعبير مجازي لمن يريد أن يتدخل بالرأي ويساعد في حل قضايا مجتمعية او قضايا الشأن العام. وقد يكون رأي الشاعرة هنا بإعطاء نصائح لمن يريد التدخل في مثل هذه القضايا، وقبل اتخاذ القرار بأن يكون متفتح على الجميع وان يعطي كل ذي حق حقه، وأن لا يتخذ القرار النهائي او يحكم فيه إلا بعد التأني ودراسة الموضوع واختيار الوقت المناسب للحديث عن ذلك.

من خلال الورقة المختصرة وتحليل الابيات الشعرية للشاعرة إيدال العمري ممكن ان نستنتج بأن اللغة هي الوعاء الرئيسي للاتصال الثقافي بين الناس، وهي ناقل التراث والقيم بين الأجيال في المجتمعات المختلفة. ومن ناحية أخرى، نرى بأن مفردات الطبيعة هي الثروة والذخيرة اللفظية التي يستخدمها الشعراء للتعبير عن المواقف والآراء المختلفة في حياتهم. ولغة الشعر في فن نانا الظفاري لا تخرج عن هذا الإطار. فقد استخدمت

الشاعرة مفردات الطبيعة المختلفة بحرفية ومهنية عالية للتعبير عن الحالة الشعرية لديها. واستطاعت الشاعرة ان توظف مفردات الطبيعة المختلفة في السياق الشعري وفي تعبيرات مجازية للمواقف والحالات المختلفة من قضايا الفرد والمجتمع والشأن العام.